Journal of Humanitarian and Applied Sciences - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي 95 / 2020) - (ISSN: 2706- 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 - 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جـامعة المرقب
Volume 8 – Issue 15 المجلد 8 العدد 15

الهجرات إلى المغرب الإسلامي وعلاقتها بتكون المذاهب في العصر الوسيط

أ. عبدالرزاق العماري القويضي
قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم قصر اخيار

أ. حسني مصطفى شعيب
أستاذ بمراقبة تعليم عين زاره ،واستاذ متعاون بكلية التربية،زلطن جامعة صبراته

Received: 06/04/2023	Accepted:20/04/2023

Abstract

The issue of immigration to the Islamic Maghreb has become increasingly of interest to historians due to its important effects on the region. The Islamic Maghreb witnessed three major migrations, namely the migration of the Conquest, the migration of Bani Hilal, and the migration of the Andalusians to Morocco. These migrations resulted in several consequences and effects, including the emergence of the Maliki school of thought after the diversity of schools and their conflicts, as well as defining the region linguistically and Islamizing it forever. Migrations also contributed to the erasure of many countries, and in exchange for the emission of other countries, and emergence of political cities. Among the economic effects is the introduction of many agricultural and craft techniques following the migration of Andalusians to Morocco and the arrival of skilled craftsmen, hilalya migration also had a negative side from the economic point of view as they increased the deterioration of the region, although they do not bear responsibility for the sabotage and destruction of the region.

الملخص

إن موضوع الهجرة إلى المغرب الإسلامي أصبح موضع اهتمام من قبل المؤرخين بشكل متزايد نظرا لتأثيراتها المهمة على المنطقة فقد شهد المغرب الإسلامي ثلاث هجرات كبرى وهي هجرة الفتح ، وهجرة بني هلال ، وهجرة الأندلسيين إلى المغرب ، ونتج عن تلك الهجرات عدة نتائج وتأثيرات منها ، ظهور المذهب المالكي بعد تنوع المذاهب وصراعاتها ، وكذلك تعريب المنطقة لغويا وأسلمتها إلى الأبد ، كما ساهمت الهجرات في محو كثيرا من الدول وفي المقابل في بعث دول أخرى ونشأة المدن والحواضر السياسية، ومن بين الأثار الاقتصادية إدخال الكثير من التقنيات الزراعية والحرفية عقب هجرة الأندلسيين إلى المغرب وقدوم الحرفيين المهرة ، كما كان للهجرة الهلالية جانبا سلبيا من الناحية الاقتصادية إذ زادوا من تدهور المنطقة ، وإن كانوا لا يتحملون مسؤولية تخريب وتدمير المنطقة .

المقدمة:

أصبح موضوع الهجرة من مواضيع الساعة، فقد بدأ المؤرخون بالاهتمام بها بشكل متزايد نظراً لتأثيراتها المهمة على المجتمعات البشرية وحتى غير البشرية، لذا فإنه تم اختيار موضوع ذي صلة بالهجرة العربية في العصور الإسلامية الوسطى وعلاقتها بتكون المذاهب في الغرب الإسلامي، وقُسمت الدراسة إلى مباحث عدة حاولت من خلالها الإحاطة والإمساك بالخيط الناظم للعلاقة بين الهجرات العربية للمغرب في العصر الوسيط وهناك ثلاث هجرات كبرى (هجرة الفتح – هجرة بن هلال – هجرة الأندلسيين إلى المغرب من إسبانيا).

وقد تم تقسيم الدراسة على النحو التالي:

أولاً: هجرات الفتح وتكون المذاهب وتم تقسيمه إلى :

أ. ظهور الخوارج والمالكية والأشاعرة (وهي التي بقت إلى اليوم).

ب. المذاهب المندثرة وأسباب اندثارها.

ج. الزندقة وبواعثها الاجتماعية.

ثانياً: التصوف والأولياء والحركات المهدوية وتأثير هجرة الهلاليين والأندلسيين عليها.

ثالثاً: الآثار العامة للهجرات والمذاهب على الغرب الإسلامي.

أولاً: هجرات الفتح الإسلامي وتكون المذاهب:

بدأ الفتح الإسلامي للمغرب مع سنة 19 هـــ بقيادة عمرو بن العاص وفتحه لبرقة واستمرت العملية إلى عهد موسى بن نصير الذي أختتم الفتح في عهده بالأندلس، وقد تطلبت عملية الفتح جهود كثيفة من الجيش الإسلامي فقد دخل المغرب الكثير من القبائل العربية مع الجيوش الفاتحة وقد ذكرت بعض المصادر الأرقام المصاحبة فمثلاً دخل مع حسان بن النعمان ما يقارب 40 ألف مقاتل **(أبوالعرب،1968،ص35)** ، كما دخل مع الوالي يزيد بن حاتم من أسرة آل المهلب حوالي 60 ألفاً، ولو أحصينا الداخلين مع عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وزهير البلوي وموسى بن نصير وغيرهم لأصبحنا أمام أعداد لا تحصى من الداخلين وقد ذكرت المصادر الأرقام وإن لم ترد الدراسة الإتيان بها كلها هنا وعمل جرد إحصائي من شأنه أن يغير بعض معطيات ومسلمات التاريخ المبكر للإسلام في المغرب[1]، هذه الجموع الداخلة كان لها دوراً في الاندماج الاجتماعي فضلاً عن دورها في الفتح، وكان تمركز هؤلاء قبل نشأة القيروان في زويلة وبرقة ومنطقة طرابلس بالإضافة لمصر كقاعدة خلفية، لقد تنوعت المجموعات الداخلة للغرب الإسلامي من القبائل العربية فكانت قبائل عريقة منها:

قبيلة كلب – مُزينة – جُهينة – تنُوخ – تجيب – ربيعة – قيس – تميم – بالإضافة إلى الارستقراطية الأنصارية القريشية والتي تحتل عشيرة القريشيين الفهريين مكانة مرموقة تعود إلى أعضائها وحلفائها، هذه التشكيلة ستكون المسؤولة عن إدارة المنطقة وتنظيمها وهيكلتها **(الدباغ، 1993)** ، وتذكر المصادر أسماء القادة الذين أداروا الشأن المغربي ومن خلالهم نستطيع مع الإحصائيات المشار إليها أعلاه معرفة بعض القبائل التي شاركت بكثافة في عملية الفتح وأماكن تمركزها وتأثيرها اللاحق في التركيبة السكانية، وكمثال نذكر أثناء الهجرة الهلالية إلى الغرب الإسلامي هناك الكثير من السكان لم يستقبل الهجرة بعداوة و لم يقف ضدها بل رحبوا بها واندمجوا معهم (في طرابلس مثلاً لم تكن هناك صدامات مع الهلاليين).

لقد كان دخول المغرب الإسلامي من قبل القبائل والجحافل المذكورة دخولاً أيضاً للمذاهب العقائدية والفقهية والصراعات وكل أشكال النعرات، ولكن كان دخولاً للفكر والعلم والتحضر أيضاً.

أ. ظهور الخوارج والمالكية والأشاعرة: لقد دخلت مع الداخلين كل المذاهب المعروفة في المشرق، ولكن اخترنا التركيز على المذاهب التي صمدت أمام الزمن واستمرت حتى الوقت الحالي.

نبدأ الحديث بالخوارج، فقد برزت هذه الفرقة بعد معركة صفين والانشقاق على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرفضهم التحكيم، وتطور الصراع مع الأمويين ودولتهم إلى أن انتهت حركاتهم بتصفية دموية في الشرق العربي **(البكاي، 2001 م، ص 11–100)**.، فبدأوا بتنظيم دعاية أيديولوجية لنشر مذهبهم بالمغرب، وقد بدأ دخول الحركة الخارجية للغرب

---

[1] التحليل الإحصائي مازال نادر الاستخدام في البحوث التاريخية الخاصة بالفترة المبكرة مع إن المصادر تعطي أرقاماً، قد يكون مبالغاً فيها لكنها تصلح للتخمين والتنوع وهي خير من لا شيء، فالأوروبيون يستعملونها.

الإسلامي مع قدوم سلمة بن سعيد يدعو للإباضية، وعكرمة مولى ابن عباس يدعو للصفرية يقول ابن خلدون في ذلك "لما فشا دين الخارجية في العرب وغلبهم الخلفاء في المشرق نزعوا إلى القاصية [يقصد الغرب الإسلامي] وصاروا يثون بها دينهم في البربر". (**ابن خلدون، ، ص 23**)

وتنسب فرقة الإباضية إلى عبد الله بن أباض، وفرقة الصفرية إلى عبد الله الصفار، وفرقة الأزارقة إلى نافع بن الأزرق، صاحب فرقة الأزارقة وهي الأشد بأساً والأصعب مراساً (**الشهرستاني، ص 123**)،. ولتوطيد نفوذهم بالغرب الإسلامي قام سلمة بن سعيد باختيار خمسة أشخاص من التقات وهم أبو درار أو ضرار الغدامسي وأبو درار النفراوي، وعاصم السدراتي وعبد الرحمن بن رستم وأبو الخطاب المعافري، وأرسلهم إلى البصرة لكي يتلقوا العلم على يد أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وذلك كجزء من التكوين الأيديولوجي للدعاة، ثم بعد عودتهم إلى المغرب قام بتوزيعهم حسب مناطقهم لنشر عقائد المذهب الخارجي بين الناس (**أبو زكريا، ، 1985 م، ص 23، الدرجيني، 1974 م، ص 17**). ، وما أن انفجرت ثورة ميسرة المدغري عام 122 هـــ حتى برزوا إلى العلن كقوة سياسية نجحت في تأسيس دولتي تاهرت وسجلماسة، ولقد كان من أهم نتائج الهجرة (هجرة الفتح) هي دخول الأفكار العقائدية على اختلاف مشاربها (الخوارج، المعتزلة، الأشاعرة، الشيعة) وكذلك (الأحناف، المالكية، الشافعية) كذلك (الزندقة).

ويرجع أهم سبب جعل الخوارج ينجحون في نشر مذهبهم هو تطلع المغاربة للاستقلال في مجال السياسة والعقيدة، وكذلك كان المغاربة متأثرين حتى قبل دخول الإسلام إليهم بثقافات البحر المتوسط وثقافة جنوب الصحراء، مما جعلهم منفتحين على كل المذاهب والمشارب، ولهذا نجد القرنين الأولين للهجرة في المغرب كل تنوع مذهبي وعقائدي.

نأتي بعد ذلك إلى المذهب الأشعري، لقد ولد أبو حسن الأشعري الذي يُنسب إليه المذهب في البصرة وقد اختلف في سنة مولده فهي 260 هـ حسب السُبكي (**السبكي، 1964، ص 347.**) ، 270 هـ حسب ابن خلكان (**ابن خلكان، ص 445.**)، 266 هـ حسبن المقريزي (**المقريزي، ص 359.**)

، وقد انتشر مذهبه في المشرق بعد نشوء المدارس النظامية وترأس الإمام الغزإلى تلك المدارس وأشرف عليها وساهم في تكريس المذهب الأشعري هناك، أما في المغرب فقد انتشر المذهب الأشعري في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وتكرّس بالمنطقة على عهد دولة الموحدين أيام محمد بن ترمدت (مهدي الموحدين) ويقول ابن خلدون في ذلك "وأنضوي هذا الإمام [يقصد بن تومرت] راجعاً إلى المغرب بحراً منفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين وكان قد لقى بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة... وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، فبصّر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول والتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد" (**ابن خلدون، ص 300**). ، كما يؤكد عبد الواحد المراكشي الشيء نفسه . (**المراكشي، 1998 , ص 159**).

أما رجالات المذهب الأشعري بالمغرب فكان أولهم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي، وأبو إسحاق القلاني وأبو عبد الله الأذري وهو من رجال أذربيجان ونزح إلى المغرب ويقول عنه القاضي عياض في المدارك "كان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب..." (**عياض 1967 م، ج 2، ص 586**)، بالإضافة إلى أبو الحسن القابسي.

Journal of Humanitarian and Applied Sciences - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي 95 / 2020) - (ISSN: 2706- 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 - 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جـامعة المرقب
Volume 8 – Issue 15 المجلد 8 العدد 15

نلاحظ بخصوص مذهب الأشاعرة أنه انتشر ما بين القرنين العاشر الميلادي والثاني عشر الميلادي وأصبح مذهب الأغلبية في المغرب، وقد حصلت الهجرة الهلالية في القرن الحادي عشر، لذا لا يمكن استبعاد تأثيرها في انتشار المذهب الأشعري إذ مجيئها من المشرق لا يستبعد تأثرهم بالمدارس النظامية التي اكتسحت المنطقة، بالطبع لا نقول إن هؤلاء البدو كانوا على معرفة بعلم الكلام، ولكن الظروف العامة في المشرق والمغرب أيضاً سهلت لهم سبل تكريس أنفسهم وانتشار المذاهب التي أصبحت هي مذاهب أهل المغرب إلى اليوم (المالكي، السني)، فالهجرة الهلالية عجَّلت بانهيار الدول التي كانت بالمغرب ومهدت المنطقة لظهور الامبراطوريات (المرابطون الموحدون)ــ فبتمهيد الهلاليين سهلت على من جاء من بعدهم من المرابطين والموحدين ترسيخ المنطقة بالمذاهب التي ظلت إلى يومنا هذا، فالهجرة الهلالية لم تساهم في تعريب المنطقة فحسب بل وتوحيدها مذهبياً وعقائدياً.

أما عن المذهب المالكي، فبداية يلاحظ أن المذاهب كان تُنسب في القرن السابع والثامن إلى الإقليم وليس إلى الشخص، إلى أن جاء الشافعي وقلده بعده الآخرون، فكان يقال مذهب أهل المدينة ومذهب أهل الكوفة ومذهب أهل البصرة... إلخ، وكان دخول المذهب المالكي إلى المغرب على يد علي بن زياد الطرابلسي **(المالكي، 1951 م، ص 234.)** ، وليس التونسي (كما يدعي الدكتور الهنتاتي) **(الهنتاتي، 2004 م، ص 37، 45.)** ، فقد جاء بعده تلميذه الإمام محمد بن سحنون صاحب كتاب "المدونة"، ويرجع أهم سبب للانتشار المذهب المالكي في المغرب في هذه الفترة هو الرحلات العلمية للعلماء والمناصرين لمالك ومذهبه، أي أن الهجرات هنا هجرة جزئية وليست الهجرات الكبرى، كما لعبت السلطة السياسية دوراً في دخوله للأندلس وتنسب المصادر دخوله – أي المذهب – إلى الأندلس إلى غازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمن **(عياض، ، ص 347.)** ، كما أن في هذه الفترة أيضاً كان مذهب مالك هو الأقل انتشاراً بالمشرق فقام المغاربة والأندلسيين بالدعاية له ونشره على نطاق أوسع مما هو في الشرق، والدليل على ذلك وجود كتب المناقب التي تترجم لأعلام مذهب مالك في المغرب والأندلس وانعدامها في المشرق رغم وجود كتب تراجم للشافعية والحنابلة (كتب السُبكي طبقات الشافعية، وكتب ابن أبي يعلى طبقات الحنابلة) فما سبب انعدام كتب التراجم للمالكية في المشرق وكثرتها في المغرب؟

إن الذين كتبوا حول المذهب المالكي في المغرب لا يقارنون بوضعه في المشرق رغم إن الأمران مرتبطان بطريقة لا انفصام بينهما، فوضع المشرق حاسم في دراسة كثير من ظواهر الثقافة والسياسة بالمغرب.

وقد كان الوضع المذهبي في المغرب مفتوحاً على كل المذاهب و لم تكن هناك سيطرة لأي مذهب، فقد وُجد المذهب الحنفي والأوزاعي والمالكي والشافعي ومذهب سفيان الثوري... إلخ [1]، ولكن هذا الوضع انتهى مع القرن الخامس الهجري بسيطرة المذهب المالكي على المنطقة كلها، ومع هذا القرن نجد انغلاق فكري ومذهبي بدأ في السيطرة واستمر إلى الآن، وهذا القرن شهد الهجرة الهلالية إلى المغرب، فهل هناك رابط بينهما؟ فلا شك في ذلك، ليس القصد أن الهجرة الهلالية هي السبب، ولكن القصد إنها من بين الدوافع والمسببات.

([1]) حتى القرن الرابع الهجري وُجدت حوالي 16 مدرسة فقهية متنوعة الآراء والمشارب وليس كما اليوم محصورة في أربعة مدارس فقط.

ب. المذاهب المندثرة وأسباب اندثارها:

انتشرت على أرض المغرب ما بين الفتح والقرن الخامس العديد من المذاهب العقائدية والفقهية مثل المذهب الخارجي، المعتزلي، الشيعي، السني، والمالكي، الحنفي، الأوزاعي، الشافعي، الحنبلي، وغيرهم من المذاهب، ففهي هذه الفترة كان فضاء الفكر مفتوحاً ولم تكن هناك سيادة لمذهب محدد، فكل الاجتهادات مقبولة ومعروضة والجدال على أشده بين مختلف الشرائح الفكرية، حتى عندما تتبنى الدول مذهباً معيناً.

ومع مرور الزمن اندثرت الكثير من المذاهب على أرض المغرب الإسلامي. ومن هذه المذاهب المندثرة نذكر منها: مذهب الأوزاعي – مذهب سفيان الثوري – مذهب الاعتزال – مذهب الصُفري – المذهب الشيعي – الحنبلي – الشافعي – الحنفي –، وكانت هناك عدة عوامل ساهمت في اندثار تلك المذاهب منها :

1) نشاط أتباع المذهب في سعيهم لنشره والتمكين له.
2) دعم السلطة السياسية لبعض المذاهب على حساب الأخرى.
3) مرونة المذهب وتكيفه مع حاجيات المجتمع ونشاط أصحابه وتطويرهم له والدعاية من أجله.
4) عدم حرص بعض أصحاب المذاهب على تدوين الكتب والفتاوي التي تخص آرائهم، فيروي مثلاً عن الليث بن سعد وهو صاحب مذهب في الشرق العربي (مصر تحديداً) فقد قيل له "إنا نسمع عنك الحديث ليس في كتبك، فقال أو كل ما في صدري في كتبي؟ لو كتبت ما في صدري ما وسعه هذا المركب". **(الذهبي. ، ص 153.)**
5) تشدد بعض المذاهب وانغلاقها ساهم في نفور الناس منها وبالتالي اندثارها.

ج. الزندقة وبواعثها الاجتماعية:

الزندقة لفظ مأخوذ من الفارسية ويقصد به الشخص القائل ببقاء الدهر، أي الذي لا يؤمن بالآخرة وهو الزنديق، ويرى بروكلمان الباحث الألماني أن لفظ زنديق كان شائعاً في بلاد فارس ويطلق على كل من حاول تفسير كتاب "الأفستا" للحكيم زرادشت، وإعطاءه صبغة ومعاني جديدة وهو ما حاول القيام به ماني ومزدك (أنبياء فرس). **(الحمد، 1999، ص 17-37.)**

فلفظ زنديق اكتسب في الإسلام صبغة المرء المتحرر من الخضوع للدين أو التقاليد والأعراف الاجتماعية، وقد استعملت السلطة السياسية تهمة الزندقة لتصفية بعض معارضيها والتخلص منهم، رغم أننا نجد تيار الزندقة قوياً في المشرق والمغرب، وكثير من مناصري هذا التيار لم يمسهم سوء ولم تتعرض لهم السلطة سواء السلطة السياسية أو الدينية أو الاجتماعية، ونذكر أمثلة مثل ابن الراوندي الذي كان على تواصل مع الخلفاء العباسيين **(الحمد، ص 165.)**، وصالح بن عبد القدوس، وحماد عجرد، وبشار بن بُرد الشاعر المعروف، وفي المغرب نجد صالح بن طريف مؤسسة دولة برغواطة والتي استمرت حتى مجيء الموحدين، وتعتبر من أكثر دول الإسلام بقاءً من الناحية الزمنية مع أن مؤسسها زنديقاً **(العبيدي، ، 1999 م.)** ، فما سر بقائها طويلاً ؟!!

الزندقة كتيار تأسست في المغرب مع القرن الثاني الهجري، أي كانت من ضمن تأثيرات هجرة الفتح، وإن لم يهتم أحد بالتأريخ لها واكتفوا بالتنديد أو الشجب الذي لم يمنع من انتشارها، فما سبب جاذبيتها وبقائها في كل العصور؟!!

ومن خلال الدراسة والبحث يتضح أن:

كل نظام ديني أو سياسي أو اجتماعي له معارضين لا يريدون له السيطرة المطلقة على المجتمع، فقد وُجد مدعون للنبوة زمن الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – وفي زمن غيره من الأنبياء، وقد وجد معارضون للسلطة السياسية والدولة منذ تأسيس الدول في العراق قديماً، كما وجد المناهضون للنظام الاجتماعي مثل الشاعر الصعلوك أيام الجاهلية، فالأنظمة تحتاج إلى تطوير وتحسين وهذا لا يتم ما لم يوجد معارضين يجبرون السلطات القائمة على تطوير النظام أو لابد من انهياره ويخلفه نظام جديد، وهذه دورة الحياة الطبيعية، وتسمية الزندقة هي تسمية نظام قائم للمعارضين له ومحاولة للقضاء عليهم أو احتوائهم.

ولقد قامت هجرت الفتح والهجرات من قُطر لآخر بنشر الأفكار الحرة والدعاية لها والدليل وجودها في المشرق والمغرب والأندلس، فقد عملت الهجرات في تكريس هذه الدعوات ونشرها وليس في القضاء عليها كما حصل لبعض المذاهب العقائدية والفقهية التي ذكرناها سابقاً، فالفكر الحر متجذر في الواقع الاجتماعي ولا تستطيع أي أيديولوجية أو أي نظام نفيه، قد يتراجع ولكن سرعان ما يطفو على السطح وبقوة لأن التجديد حاجة بشري

ثانياً: التصوف والأولياء والحركات المهدوية وتأثير هجرة الهلاليين والأندلسيين عليها:

يدعو الإسلام في أصوله وأسسه إلى الزهد في متاع الدنيا والورع والتقوى، وتشكل هذه المبادئ الأرضية التي نبع منها التصوف في بدايته مع الجنيد وأبو يزيد البسطامي والمحاسبي **(كوربان. 1998 م، ص 282-293.)**، قبل أن يتطور ويأخذ شكل آخر تنظيرياً مع انفتاح الحضارة الإسلامية على تراث الهند وتأثر بعض المتصوفة المسلمين بالهند وتيارات الزهد هناك، ومبدأ وحدة الوجود الذي انتشر بين كثير من المتصوفة المسلمين، فقد اعتنق مثلاً المتصوف الشهير محيي بن عربي مبدأ وحدة الوجود **(ابن عربي: 2014م.)** ، كما تأثر جلال الدين الرومي وأستاذه شمس التبريزي بالتصوف النظري، وبالطبع شهيد الإسلام المتصوف الحلاج، وبتطور التصوف في المشرق تأثر أيضاً المغاربة به وتطور عندهم كذلك وذكرنا محيي بن عربي وأيضاً ابن سبعين وأبو مدين (الغوث)، وأبو محمد صالح وكل أصحاب الكرامات والتجليات رضوان الله عليهم جميعاً، وترتب على ظهور التصوف ورسوخه في المجتمع الإسلامي ظهور فكرة المهدي عند الشيعة أولاً وبالذات الشيعة الإثني عشرية والإمامية **(أمين. 2012 م، ص 9-35.)** ، ثم تطورت الفكرة ودخلت إلى المغرب الإسلامي واعتنقها بن تومرت مهدي الموحدين ومؤسس إمبراطوريتهم في الغرب الإسلامي، وانتشر بعده بسرعة الفكر المهدوي، كل هذه الأفكار الصوفية وحركة الأولياء الصالحين والتفكير المهدوي له علاقة بالهجرات الكبرى من المشرق إلى المغرب والأندلس، وله علاقة بالهجرات الصغرى وأقصد هجرة العلماء والتحركات البشرية من إقليم إلى إقليم ومن مدينة إلى مدينة، فهجرة الفتح وما ترتب عليها من استقرار في المغرب أدخلت تيار التصوف والزهد بالإضافة إلى المذاهب التي ذكرناها سابقاً، كما إن الهجرة الهلالية في القرن الخامس كانت من ضمن المؤثرات في تعزيز هذا التيار الصوفي بجلب أفكار المشارقة (الغزإلى مثلاً). **(المغموري، 1990 م.)**

بالإضافة إلى أنهم بنشرهم للغة العربية وتعريبهم للمنطقة بشكل عميق ساهم ذلك في تبادل الأفكار وسرعة انتشارها، لا نقول إن هؤلاء البدو كانوا مثقفين كبار، لكن ممارستهم للتجارة والغفارة على قوافلها وإشرافهم عليها بعد سيطرتهم على المنطقة كل ذلك كان له الأثر الكبير في حرث التربة وتمهيدها لأفكار الصوفيين والحركات المهدوية **(السبتي ، 2009، ص 44-151.)** ، بل ولتأسيس الامبراطوريات، فلا ننسى أن هؤلاء البدو هم الذين قاموا بالفتح قبل أن يقوموا بتأسيس الحضارة الإسلامية، كما إن بني هلال وسليم ساهموا في إبراز دولة المرابطين والموحدين وجهادهم بالأندلس، فقد استعملهم كلاً من المرابطين والموحدين في جيشهم، ولم يكن دورهم تخريبياً فقط كما يحاول الاستشراق الفرنسي واظهار ذلك من أجل تغطية

جرائمهم للمنطقة عندما دخلوها مستعمرين، لأن أوضاع المغرب الإسلامي كانت في تراجع قبل مجيئهم (بني هلال) كما يوضح شاومو غواتين الأخصائي العالمي في وثائق الجنيزة المكتشفة في القاهرة **(غواثين، 1980 م، ص 189-211،**)هذه الوثائق تعكس وضعية الكساد التجاري قبل مجيء بني هلال للمغرب وإن المنطقة كانت تعيش أزمة اقتصادية انعكست في مراسلات إليهود لإخوانهم بمصر الموجودة حالياً في وثائق الجنيزة.

أما الهجرة الأندلسية للمغرب الإسلامي فقد وقعت بعد أن تم طردهم من الأندلس عقب هجوم الأسبان وسيطرتهم على البلاد، ففروا إلى المغرب جالبين معهم ثقافتهم وعلومهم وحرفهم مما ساهم في تطوير كثير من جوانب الحياة لأنهم كانوا عنصراً نشطاً وحيوياً فمثلاً في ليبيا ساهموا في تأسيس مدينة درنة ويرجع لهم الفضل في ذلك، كما أن مذهب التصوف والأولياء قد شهد دفعة قوية وانتشاراً واسعاً ساهموا فيه بفضل تنقلاتهم من منطقة لأخرى **(زروق، 1998، ص 129-186، 266-278.)** ، وكذلك لأنهم كانوا أصحاب حضارة وثقافة لها بصمات في أوربا حتى اليوم كما يذكر المؤرخون الأسبان المعاصرين مثل غوتيريث وفينيث وبالنثيا، فتهجير المسلمون من الأندلس إلى المغرب أخصب المجال الصوفي أكثر إذ أن التيار الصوفي والأولياء قد أخذ في السيطرة والتوطد بأرض المغرب منذ القرن الثاني عشر، فخلفية الأندلسيين الثقافية والعلمية كانت رافداً إضافياً للمغاربة.

ثالثاً: الآثار العامة للهجرات والمذاهب على الغرب الإسلامي:

أ. نتائج ثقافية: وتعتبر من أهم النتائج، فقد ترتب على الهجرات جملة نتائج تمثلت في:

1. تعريب المنطقة لغوياً فسيطرت العربية كلغة ثقافة.
2. تنوعاً مذهبياً وغزارة إنتاج وصراعات مثمرة استمرت إلى القرن الخامس الهجري قبل أن يطغى مذهب واحد (المالكي).
3. إن صراعات المذاهب وتلاقحها جعل من الغرب الإسلامي من على المدى البعيد أكثر انفتاحاً من المشرق على الثقافة العالمية، ونشاهد اليوم الآثار الثقافية لذلك.
4. أسلمت المنطقة وإلى الأبد، وظهر ذلك إبان الحقبة الاستعمارية، فرغم كل جهود التنصير الأوروبية لم يستطيعوا فعل شيئاً.
5. ساهمت الهجرة الهلالية والأندلسية في تثبيت المذهب السني.
6. ساهمت الهجرة الأندلسية بالمنطقة في المجال الثقافي والعمراني والحركة الأدبية والصوفية.

ب. نتائج سياسية:

1. ساهمت الهجرات بمحو كثير من الدول كما ساهمت في بعث كثير من الدول، أي إنها استطاعت تجديد النخبة السياسية.
2. لأول مرة تظهر الامبراطوريات على أرض المغرب إثر الهجرة الهلالية، فهي التي مهدت المنطقة للمرابطين والموحدين وخدموا في جيشها.
3. إغناء وإثراء التركيبة السكانية للمنطقة والتصدي للصليبيين وإفشال حملاتهم على الشمال الإفريقي.
4. نشأة المدن والحواضر السياسية التي تعتبر من أهم نتائج الهجرات على الغرب الإسلامي.

جـــ. نتائج اقتصادية:

1. إدخال الكثير من التقنيات الزراعية والحرفية عقب هجرة الأندلسيين إلى المغرب ومجيء الكثير من الحرفيين المهرة.

2. كان للهجرة الهلالية جانباً سلبياً من الناحية الاقتصادية إذ زادوا من تدهور المنطقة التي كانت تتراجع اقتصادياً قبل مجيئهم، وإن كانوا لا يتحملون مسؤولية تخريب المنطقة كما تزعم بعض المصادر والاستشراق الأوربي.

المراجع:

أولاً: المصادر:

1) أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، تحقيق علي الشابي ونعيم اليافي، الدار التونسية، تونس، د ط، 1968 م.
2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966 م.
3) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
4) أبو زكريا الصغير، السيرة وأخبار الأئمة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية، تونس، 1985م.
5) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان دباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
6) الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974 م.
7) الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تعليق إبراهيم شبوح، المكتبة العتيقة، تونس، طـ 1، 1993 م.
8) الذهبي. سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
9) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مطبعة الحلبي، 1964 م.
10) الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
11) الكندي. ولاة مصر، بيروت، لبنان، 1908 م.
12) القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة رأجل مالك، تحقيق أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1967 م.
13) المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية. تحقيق حسين مؤنس، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، 1951 م.
14) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998 م.
15) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة حلبي للنشر، القاهرة، مصر، دون تاريخ.

ثانياً: المراجع:

1) أحمد أمين. المهدي والمهدوية، مؤسسة هنداوي. القاهرة، مصر، 2012 م.
2) الطاهر المعموري. الغزإلي وعلماء المغرب. الدار التونسية للنشر، تونس، طـ 1، 1990 م.
3) عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، طـ 1، 2009م.
4) غواثين. دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، طـ 1، 1980م.
5) كلود عداس، ابن عربي، ترجمة أحمد الصادقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، طـ 1، 2014م.
6) لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها، دار الطليعة، بيروت، لبنان، طـ 1، 2001 م.
7) نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، تبر الزمان، تونس، 2004 م.
8) محمد الحمد، الزندقة والزنادقة، دار الطليعة الجديدة، دمشق، سوريا، طـ 1، 1999.
9) محمد زروق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، طـ 3، 1998م.
10) محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب، دار تانسيفت، الدار البيضاء، المغرب، طـ1، 1999 م.
11) هنري كوربان. تاريخ الفلسفة الإسلامية. ترجمة نصير مردة وحسين قبيس. عويدات للنشر، بيروت، لبنان، طـ 2، 1998 م.